

أضواء البيان

@ 57 @ الليل والنهار يعلمون عدد الأيام والشهور والأعوام ، ويعرفون بذلك يوم الجمعة ليصلوا فيه صلاة الجمعة ، ويعرفون شهر الصوم ، وأشهر الحج ، ويعلمون مضي أشهر العدة لمن تعتد بالأشهر المشار إليها في قوله : { وَاللَّائِي يَدْعُونَ مِنْ الْوَحْيِ مَنْ نَّسَأَلُكَ عَنْ إِنْ أَرْتَابْتَ عَنْهُ فَعِدَّةٌ مِنْهُنَّ ثَلَاثَةٌ أَشْهُرٌ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُرْ } ، وقوله : { وَاللَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا } . ويعرفون مضي الآجال المضروبة للديون والإجازات ، ونحو ذلك . .

وبين جلّ وعلا هذه الحكمة في مواضع أخر ، كقوله : { هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّاعَاتِ } وَالْحَسَبَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } . وقوله جلّ وعلا : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحُجَّ } ، إلى غير ذلك من الآيات . .

وقوله جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة : { فَمَحَوْنَهَا آيَةً السَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً } فيه وجهان من التفسير للعلماء : . أحدهما أن الكلام على حذف مضاف ، والتقدير : وجعلنا نرى الليل والنهار ، أي الشمس والقمر آيتين . .

وعلى هذا القول فآية الليل هي القمر ، وآية النهار هي الشمس . والمحو الطمس . وعلى هذا القول فمحو آية الليل قيل معناه السواد الذي في القمر . وبهذا قال علي رضي الله عنه ، ومجاهد ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما . .

وقيل : معنى { فَمَحَوْنَهَا آيَةَ السَّيْلِ } أي لم نجعل في القمر شعاعاً كشعاع الشمس ترى به الأشياء رؤية بينة . فنقص نور القمر عن نور الشمس هو معنى الطمس على هذا القول . .

وهذا أظهر عندي لمقابلته تعالى له بقوله : { وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً } والقول بأن معنى محو آية الليل : السواد الذي في القمر ليس بظاهر عندي وإن قال به بعض الصحابة الكرام ، وبعض أجلاء أهل العلم .

وقوله : { وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ } على التفسير المذكور أي الشمس { مُبْصِرَةً } أي ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء على حقيقته . .

قال الكسائي : هو من قول العرب : أبصر النهار : إذا أضاء وصار بحالة يبصر